

رابطة جديدة ضد التدخين في مصر

تألفت في الشهر الماضي رابطة جديدة ضد التدخين وقد تولى رياستها صاحب المعالي الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظه وزير الشؤون الاجتماعية. وجميع أعضاء الرابطة لا يدخنون. ولكنهم رأوا مع ذلك أنه يجب عليهم أن يقوموا بدعاية خاصة بين المدخنين يوضحون فيها أضرار التدخين الاقتصادية والصحية .

وقد أقام معاليه حفلة شاي أنيقة في داره بالعاصمة يوم الأحد ٩ نوفمبر دعا إليها أعضاء الرابطة وأنصارها .

وليس من شك في فائدة هذه الدعاية ، فان التدخين يتفشى في بلادنا بكثرة ليس لما شبيه في قطر آخر . وجميع الذين زاروا الأقطار الشرقية القريبة أو أقطار أوربا يلاحظون أن طبقة العامة والفلاحين عندما يدخنون كثيرا ، بل ينغمسون في التدخين. وقد انتقلت عادة التدخين من رجالنا إلى سيداتنا ، بل إلى آسائنا . وقد يكون للقصص السينائية بعض الأثر هنا فان فناء القصة التي تبدو في أحسن ملابسها وأبدع زيتها تحمل بين شفتيها السجارة في فنته وإغراء فتجد من النظارة إعجابا ثم اقتداء .

ولكن ربما يكون من المفيد للقراء أن يعرفوا أن عادة التدخين التي فشت بين طالبات الجامعات في أوربا وأمريكا قبل نحو عشر سنوات قد أشرفت على الزوال . فقد انقلب التيار وأصبح جمال الفتاة يقتضى البعد عن هذه العادة التي تشوه لون الأنامل والأسنان والشفاة ، وتجعل للفم والشعر بل لللباس نفسها رائحة كريهة . فالفتاة الأنيقة أصبحت تتجنب التدخين صيانة لجمالها ، كما تتجنبه أيضا صيانة لصحتها ومالها .

ولم يتفش التدخين بين آسائنا وفتياتنا المتعلقات بالدرجة التي يتفش منها . ولكنه أكثر ما يكون تغشيا بين الطبقات الفقيرة إذ لانكاد نجد فلاحا أو حيا لا يدخن ، على الرغم من أن أجرته اليومية أو ريعه السنوى لا يفي بغذائه وغذاء أسرته . وكل قرش ينفق في التدخين قد حرم منه البيت ، وكان يمكن أن يشتري به خبز أو إدام أو لباس . والدخان - دون سواء من المستهلكات - يسهل علينا إحضار ما يستفده من مال هذا الشعب ، ذلك أنه ليس من إنتاج بلادنا ، بل يرد كله من الأقطار الأجنبية وهو لذلك معروف بالأرقام المضبوطة . ونحن نعرف أن الحكومة تحصل من المكوس الجمركية عليه ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات . فإذا أضفنا إلى هذا المبلغ نحو مليون جنيه آخر هو ثمن الدخان المدفوع لزارعيه .

ثم مليون جنيه هي تكاليف صنعه في مصر مع الأرباح التي تعود على بائعيه والمشتغلين بنقله ونحو ذلك حازلما أن نقول ولا نلدو التصواب إن الجمهور المصري ينفق نحو عشرة ملايين من الخيالات كل عام في التدخين .

وهذا مبلغ ضخم . يزيد كثير على ما تنفقه على الطعام أو الصحة . فنحن لا نشقف عقولنا ولا نعالج أجسامنا مثل هذا المبالغ . ومع ذلك يمكننا أن نقول إنه لو وزع هذا المبلغ بالسواء بين المدخنين لكان أثره غير فادح ولكن الحقيقة أن هناك عددا كبيرا من المدخنين الذين يؤذون عائلاتهم بما ينفقون على التدخين ، أولئك الذين يحرم أبنائهم وزوجاتهم من الطعام الجس و اللبس اللائق أو سكنى الصحية لأن لأب ينفق نحو ١٥ . من كسبه أو أكثر على التدخين . وفي الوقت الذي يصرح فيه "الأطباء في طلب الفواكه أو الحلوى بل الطعام المشبع يحرمون من هذه الضروريات ، على حين تنفق القروش بسخاء لشراء علبه من السجائر .

فالضرر الاقتصادي من التدخين في بلادنا كبير - ولكن هناك ضرر صحي أكبر . ذلك أن التدخين يهدم الصحة وينقص العمر . ومادة النيكوتين ، أي المادة السامة التي في الدخان ، هي إحدى السموم الفتنة للإنسان وإن كان فعلها بطيئا يخاضع إلى السنين . على أن هذا الفعل مؤكد كما أثبت ذلك الأستاذ ريموند بيل الأمريكي . فقد قام باحصاءات بين المدخنين في شركات التأمين الأمريكية فبداله صرر التدخين بارزا محميا . والقليل منه ينقص العمر بقدر قلته . والكثير ينقصه بقدر كثرته . فلا يقول أحد إن " الاعتدال " في التدخين يمنع الضرر إذ كل ما في هذا الاعتدال أنه ينقص العمر أقل مما ينقصه الإدمان والإسراف .

ولا نعرف على وجه الدقة ألوان الانحطاط الفسيولوجي التي تصيب الجسم من التدخين وعللة ذلك أن المدخنين يتفاوتون ، فمنهم الشاب المبتدئ ، ومنهم المدخن ومنهم المعتدل ، ومنهم من تقدمت به السن فاحتطت علامات الانحطاط الناشئة من الشيخوخة بعلامات الانحطاط الناشئة من التدخين المزمن ، على أن هناك مع ذلك إجماعا بين الأطباء ، على أن أثر القلب وأشرايين من التدخين المزمن . وهناك شكوك أو شبهات بشأن السرطان الذي يصيب الشعبة أو اللسان من استهلاك العليون وخاصة إذا كان مصنوعا من الفحم الذي يسخن فيؤثر بسخوته في أعضاء الفم ويحدث التهابا خفيفا لا يستت إليه ولكنه ينتهي بالسرطان .

ويذكر سكان القاهرة المرحوم الدكتور فوكيه الذي كان يبيع على مرضاه في بطن التدخين ويرفض معالجتهم إذا أصروا على التزم هذه العادة . وكانت تحدث بينه وبين مرضاه حوادث لا تزال سمر المتفكرين من الأطباء والمرضى معا ، فقد كان بعض المرضى يكذب عليه ويدعى الكف عن التدخين فيتشم فوكيه فله فيجد في نكهته أثر التدخين ويحتم غيظه ويطرده في عريضة صاخبة ، وكان الدكتور فوكيه نفسه ضحية التدخين في وقت ما ، وقد عرف آثار هذه العادة في صحته وكان من عادته لكي يقطع مرضاه بضرر التدخين أن

يعرض صورته الفتوغرافية مدة انغماسه في هذه العادة حين كان شاحبا هزليا ، ثم بعد أن أظلمها فاسترد عافيته وروقه ، ووظن أن أطباءنا يحسنون كثيرا ذاهم أو ضحويا لمرضاهم الضرر الذى يعود على الصحة من التدخين .

ولكن ضرر التدخين لا يقتصر على المال والصحة ، فإن غير المدخنين يعرفون له آثارا أخرى فى الجمال والظافة والحياة المتقدمة ، وعند ما يدخل غير المدخن غرفة قد فشا وجوها لدخان لا يثق من لا شئزاز الذى يكتمه حياء من الضيوف ولكنه يحبه متلما ويبقى متبرما متاملا . وعند ما تترك أعقاب السجائر مدة فى غرفة ما يفوح منها "صان" كريه لا يتضابق منه المدخن بلطع ولكن غير المدخن لا يطبقه ، فهنا قدرة مادية لا يمكن أن تتفق ولتأق الذى تقتضيه الحضارة العصرية ، وعجيب حقا أن يدخل أحدا فى "صان" أحد الأغنياء أو الوحاء فيحس كأنه فى متحف ، وذبت لما يرى من لأثاث الفاخر والطرف الفنية العالية والزوم الرائعة . ثم يجد أن ذلك "منقضة" قد تكدست فيها أعقاب السجائر القذرة لئلا تطاق رائحتها .

وهذه الرابطة الجديدة لمكافحة التدخين تحتاج إلى دعاية واسعة بين المدخنين كما تحتاج إلى معونة من الحكومة . فأما المدخنون فيجب أن نوضح لهم الأضرار الصحية التى لا شئ فيهم على أجسامهم وأعمارهم . كما أن هناك الأضرار الاقتصادية التى ينبغي إصاحتها للمرات البيوت ، أما الحكومة فيمكن أن تساعد من ناحية سن تقوانين منع التحرر من بيع لدخان أو السجائر للصبيان الذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة عشرة ، لأن الصبي الذى يألف تناول السجائر كثيرا ما يمتد الفضول على تجربة التدخين ، وحده لتجربة الأولى نحو مرحلة طويالة من الانغماس .

وبعد كل هذا الذى ذكرنا يجب أن نقول إن التدخين يمكن أن ينظر إليه من ناحية أنه علة نفسية ، لأنه نوع من الترفيه الكيماوى الذى لا يحتف ، إلا من حيث الدرجة ، من أنواع الترفيه الأخرى الخطرة مثل دمان الحمر والمورفين أو الكوكايين أو غيرها ، فإن المدمن هنا إنما يطلب هذه لأشياء جميعا للمكرب الذى يحس قبل ممارسة العادة وبلا انفراج الذى يشعربه عقب ممارستها ، وهو إنما يحس كرا لأنه ضائق بنفسه عجز عن الملاءمة بينها وبين الوسط ، والمدخن — مثل السكير — يطلب التدخين فى إخاح إذا أحس هما أو كان منهوكا وكان ساخطا أو كان مضطربا ، وهذه كلها حالات نفسية سيئة تتحمله على الترفية بالإقفل على التدخين .

ولهذا السبب نحتاج إلى دعاية إيجابية بأن نبين للدخين قيمة المنزل الحسن والألفة السعيدة فى البيت ، ولذة القراءة ، ومزايا الألعاب الرياضية ونحو ذلك مما يجعل التدخين غير لازم .